تشكيل

معرض الفنانة منى طراد دبغي

الحياة الشعبية بانطباعية حديثة

تسع وعشرون لوحة بالألوان الزيتية على القماش، وأربعة منها على الورق هي حصيلة معرض الفنانة منى طراد دبغي. في مطعم ميجانا (الأشرفية) شارع عبد الوهاب الإنكليزي. ولأن المطعم تراثي في منزل قديم. تناسبه اللوحات المعروضة التي تصول وتجول في الحياة الشعبية اللبنانية. وخاصة حياة المرأة في المنزل. في استراحتها على النارجيلة. أو في جلستها العائلية للطعام. أو في لقائها الرجل على طاولة بيت. أو مقهى. وكذلك الحال في لعب الورق. وغير ذلك من طبائع الحياة الشرقية داخل الغرف، حيث زخارف الفرش الهندسية، والنباتية. أي البنائية والغنائية. كذلك زخارف الملابس. وملابس البيت الخفيفة الشفيفة على الأجساد الشرقية المكتنزة المتلظلظة بالكتل والإنتفاخات التي تبلغ حد الكاريكاتير في تناولها الفني، الذي أولته الفنانة عناية خاصة للمرأة تفوق عنايتها بالرجل أو الطفل. أو الأشياء. ودائما المرأة جالسة. أو متكئة أمام النافذة. في تعبير قوي عن توقها إلى الحرية. ودائما الألوان الحارة حتى في الظلال الداخلية. ألوان أقواس قزح خافتة قليلا، وألوان نهارات وشموس وضياءات قائظة تكتنزها الثياب والفرش. والأجساد في غالبية الأعمال..!

لذلك تبدو الفنانة، عاقدة العزم على تدوين حالات وعوالم المرأة الشرقية، وكأنها تتحاصد الجماليات التي يختزنها هكذا موضوع. ضرب في جواءاته الإستشراق طويلا. لكن عين الفنانة صادقة واقعية وتعبيرية. وهي كمن تقترح على نفسها الإيغال في مشهديات الحياة والكائنات. والنفاذ إلى الخفايا والنوايا، والطوايا والطبائع، علها تستخرج منها ما ترغب في التعبير عنه. وما يشكل جاذبية بصرية ممتازة. كما يشكل حنانا وحنينا إلى أزمنة الهدوء والطمأنينة في الحياة الشعبية القانعة ربما بتواضع العيش. وعلاقة المرأة بالفاكهة، ترميز فردوسي للجنة. كذلك علاقتها بأنفاس النارجيلة، فيه شيء تصعيدي، ومحاولة للتعويض عن حرية غائبة أمام الأعراف والتقاليد، ولو أنها توحي في أعمالها، بأن المرأة هي التي تصنع الحياة ووقائع العيش في البيئة التقليدية لمدينة حداثية كبيروت، تجاوزت المرأة فيها المنزل إلى العمل والعلم والحرية..!

مع ذلك تطل علينا الفنانة بلوحاتها في تحقيب وتحفير الحياة داخل المنازل كأنما من ذاكرة تستبطن محتوياتها ومخزوناتها التراثية. لكنها معالجات فنية حديثة تخلط الإنطباعية في الألوان بالطباعية. وتخلط التعبير بشبهات التجريد، فهي لا تقر على مدرسة فنية بعينها، بل كأنما تختبر أسلوبها الفني وتجربه وتجدده. وكأن المرأة المكتنزة المنتفخة أيقونتها التي تعزف عليها عارية ولابسة. وهكذا في مراحل معارضها الفنية، تتجاوب مع احتياجاتها الجمالية. لتخلق تأثيرات حميمة عند المشاهد الذي يتفحص بعين ليست غريبة عما ترسمه. وبذاكرة جمعية تختزن هذه المشهديات. أو ربما عاشت هذه الحياة ردحا من الزمن. أو أنها ما زالت إذا كانت تقاليد الحياة لم تعصف بها الحداثة. حتى أن الفنانة، وكأنها تؤرخ يوميات امرأة، وأوقاتها، كما أنها تضفي من ذاتها الفنية على اللوحات ضمن رؤيتها. وليس كما هي في الواقع. حيث الفنانة تزيح وتحور، وتؤلف وتغير، وتبدل الكثير مما تراه غير أساسي. أي أنها تقتصد أيما اقتصاد في التفاصيل. وكذلك تقتصد في الزخارف التي توشي أعمالها..!

وفي سياق الرؤيا الجمالية التي تنطلق منها، تتقارب الفنانة من حساسياتها اللونية، فتعمل اشتقاقاتها وكيماوياتها على الملوانة. وتنقلها على اللوحة بعصب غنائي، وإيقاعات سرية، غامرة وأسرة، فيها الكثير من الطقوسية والسحر والهارموني اللوني. ومن المشاعر الجياشة المتغارفة التي تتجارفها من دخيلتها وتغدقها على امراتها التي هي معادلها الموضوعي في اللوحة. إن لم نقل هي شيء كثير من ذاتها، وهي مراياها. بكل المحمولات والرغبات. والأحلام والآمال المعقودة عليها. سواء في الرهان الواقعي أو الفني. وتنجح الفنانة علي هذين الصعيدين لإدراكها الحاد. بقدرتها على مطابقة الموضوع مع الشكل، وعلى تجويد الألوان وتنغيمها وتطريبها في آن معا..!

والإصرار على الموضوع الذي يطغى على اللوحات. يجعل الفنانة في حيوية وحركية تجاه مشهدياته، خوف التكرار. لكن لها من معاني الكثرة والتعدد ما لها في التنويع على الهيئات والسمات التي لكائناتها. والتي تنحو فيها نحو المقاربات والمفارقات في آن معا. حتى تحصل للفنانة ما يعتبر تسلسلا وترابطا وتواليا في لوحاتها كأنما في شريط مصور يتحرك ببطء فيرسم المشهد غير الذي يليه. حتى ولو كانت وحدة المكان في مسرحة اللوحة، ووحدة الزمان. لكن الكائنات والتفاصيل تتغير كاعتبارات تخييلية، وواقعية. والأكثر لاعتبارات ذاتية تضمرها الفنانة في روحها وجسدها. عما يخالجها من فوات ذلك الزمان الذي تقيم عليه عماراتها الفنية. المحمولة على ذاكرة حية مضيئة. متوترة، متواترة، تستنسل الموضوعات وتستولدها. من بعضها. ومن الحياة. ومن التصورات التي تنبعث عبر الضياءات الملونة التي تتفاصل في اللوحات. وتتوالف. تتبارق وتتراعد. وتذهب إلى غموض لطيف خفيف. رغم صراحة وفصاحة الموضوعات. فإنه يشف عن عطر سري يضمخ أعيننا، ونحن أمام الأعمال. وكأن ما ينبعث منها شعاعات ذات روائح ممزوجة بالبخور والطيب والقرفة والآس..!

وهي تطور لوحاتها باتجاهات العتاقة والأصالة. واستخدام المواد المحلية في صياغة التجهيزات التي تنعقد في أعمالها. عن النساء اللوحات. بإطارات من نوافذ تراثية حقيقية. ربما عالجتها بالألوان. أو تركتها على طبيعتها. وحفرياتها في الخشب والدهان. أو أودعت الحديد المتثني بعض مؤثرات العوامل الطبيعية على هذه المواد والعناصر التي تضايفها لوحاتها. وكأنها لا تخرج عن أسلوبها الفني وعن شخصيتها الجمالية. وعن التركيز على أيقونتها التي هي امرأة الحياة العاشقة الحالمة بالحرية، والتي تعزف على أوتار حياتها. وتتمرأى بها، كما لو أنها قرينتها او مثيلتها. أو تعويذتها. وطلاسمها الخيرة الحميدة على كل حال..!

هكذا هي الفنانة منى طراد دبغي. تحزم أمرها. وتحفر في عوالم المرأة. وكان هموم العالم تمركزت فيها. فهي تضعها في حدائق التأويل والتحويل. والقراءات المتعددة. كما تسبغ عليها الإيحاءات والدلالات التي تدخلها في وعينا ولا وعينا، فمن يشاهد أعمالها مرة، سيحفظ أن هذا أسلوبها. وربما لن يخطئ في معرفة أية لوحة فيما بعد لها. حتى ولو كانت دون توقيع. هذا من التغام الروح. بما تتطارح من قضايا اجتماعية. وفردية. وهموم وذاكرات تحكم الكثير من الزمان الذي ينقضي. وربما الزمان الذي يجيء.

زهير غانم

- معرض الفنانة منى طراد دبغي
- صالة مطعم ميجانا (الأشرفية)
- ٢٩ لوحة بالوان الزيت
- ٢٣/١٠- ٢٠٠١/١١/٢٣

□ من المعرض □

«الحجر الصقيلي» لشاكر لعيبي

□ غلاف الكتاب □

صدر عن دار «منشورات الآن» كتاب للشاعر العراقي شاكر لعيبي بعنوان «الحجر الصقيلي» ويحتوي على عدد من القصائد منها: بعد اكثر من ربع قرن، عيون فان كوخ، عربي على دراجة هوائية، ليلة العاشق، الغريب، الحجر الصقيلي، وداعاً يا وحيد القرن، الناس، مقام عربي، جلال..

وللمؤلف مجموعات شعرية منها: اصابع الحجر، بلاغة، ميتافيزيك، كيف. أما الاعمال الادبية التي ترجمها فمنها كتاب هنري ميللر «شيطان في الجنة».